الأهرام

المصدر: المصور

التاريخ: ٦ اكتوبر ١٩٩٥

وقائع الحدث الكبير

تحليل إخبارى من واشنطن يكتبه:

مكرم محمد أحمد

هل يستحق اتفاق طابا كل هذه المظاهرة التى أقامها الرئيس الأمريكى كلينتون في البيت الأبيض؟، وهل كان ضروريا أن يسافر الرئيس مبارك لحضور مراسم توقيع الاتفاق فى واشنطن؟، ولماذا كل هذه الحفاوة بحدث لا يرى فيه البعض أكثر من كونه مجرد مرحلة وسطى على مسار التفاوض الإسرائيلى الفلسطينى؟

كان الحفل باهرا، حشد له الرئيس الأمريكى كل عوامل النجاح، وكان ظهور كلينتون ومبارك وحسين وعرفات ورابين وبيريز فى القاعة الشرقية للبيت الأبيض يعنى أن الشرق الأوسط قد تغير بالفعل، وأن السلام الذى كان حلما مستحيلا قبل أن تشق مصر طريق ريادته قد أصبح واقعا عمليا يكبر ويزداد رسوخا يوما وراء يوم.

جاء اتفاق طابا عبر مخاض صعب، لعبت فيه مصر دورا مهما ساعد على تقريب وجهات نظر الجانبين، لكن الاتفاق فى صياغته وفحواه هو جهد فلسطينى إسرائيلى مشترك قبل أن يكون جهدا لأية أطراف أخرى.

فى طابا تابعت مصر مفاوضات الاتفاق لحظة بلحظة، وتدخل الرئيس مبارك أكثر من مرة كى يعيد الجانبين إلى مائدة التفاوض بعد خلافات عاصفة، وفى طابا اكتملت كل ملامح الاتفاق لكن الجانبين كانا لايزالان يختلفان على ثلاث قضايا فرعية، يتعلق أولاها بمعايير الافراج عن ألفين من المعتقلين الفلسطينيين فى سجون إسرائيل، أما المشكلة الثانية فتتعلق بخلافهما القديم حول مساحة أريحا وهل تظل فى نطاق المدينة أم تتسع لتشمل كل المنطقة، وكانت

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

المشكلة الثالثة تتعلق بموعد انسحاب القوات الإسرائيلية من مدينة الخليل والذى جاء فى نهاية جدول الانسحاب الذى اقترحته إسرائيل.

تمكن الجانبان من إنهاء مشكلة المعتقلين، وتقدم الإسرائيليون بحل وسط يضيف إلى مدينة أريحا منطقة العوجة وقرية فلسطينية مجاورة صغيرة، لكن مشكلة الانسحاب من مدينة الخليل ظلت بدون حل حتى اللحظة الأخيرة قبل مراسم توقيع الاتفاق.

وعندما دخل المنسق الأمريكى دينس روس إلى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض لينقل إلى الرئيس كلينتون خبر الأزمة بينما كان مجتمعا مع مبارك وحسين وعرفات ورابين.

طلب الرئيس كلينتون من عرفات ورابين أن يجلسا معا ليحسما خلافهما الأخير حول جدول الانسحاب من مدينة الخليل دون تعويق موعد توقيع الاتفاق الذى تأخر لعشر دقائق وقع خلالها رابين وعرفات على ٣٦ خريطة تحدد أماكن الانسحاب ومواعيدها.

❑❑❑

❑ نهاية حلم إسرائيل الكبرى ❑

لقد تحدث كثيرون عن نقائص إتفاق طابا الذى لم يستطع إنهاء مشكلة الخليل، وألزم الفلسطينيين قبول حل وسط، يقضى بأن يتولى الأمن الإسرائيلى الاشراف على الحرم الإبراهيمى وجزء من المدينة، فى إطار ترتيبات صارمة، تشكل قيدا على الإدارة الفلسطينية، لمجرد وجود ٤٠٠ مستوطن، يقيمون وسط زحام مدينة عربية،

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يصل تعدادها إلى مايزيد على ١٥٠ ألف فلسطيني.

لكن الاتفاق رغم كل نقائصه ينقل أوضاع الفلسطينيين من حال إلى حال، فالضفة والقطاع يصبحان بإعتراف الإسرائيليين إمتدادا لكيان فلسطيني مستقل، له سلطته التشريعية ومجلسه التنفيذى ويتمتع بصلاحيات واسعة، يمكن أن تشكل أساسا لدولة فلسطينية مستقلة.

من حق الكيان الفلسطيني الجديد، أن يجمع الضرائب ويُصدر القوانين وينظم التجارة، ويفتح البنوك، ويُصدر جوازات السفر والعملة، ويقيم المحاكم وينفذ الأحكام، ويسيطر على الأرض، ويدخل فى اتفاقات تعامل وتعاون مع العالم الخارجى، لكن الأهم من كل ذلك، أن سلطة الاحتلال الإسرائيلى سوف تنسحب من ٣٠ فى المائة من مساحة الضفة وأن جنود الاحتلال سوف يخرجون بعد ٢٧ عاما، ودون عودة، من كل المدن الفلسطينية الكبرى، جنين، وطولكرم، ونابلس، وقلقيلية، ورام الله، وبيت لحم، ومعظم مدينة الخليل.

سوف يصبح للفلسطينيين فى غضون ٦ شهور قادمة على أكثر تقدير، مجلس تشريعى من ٧٢ عضوا يمارس سلطة الحكم الوطنى على أساس ديموقراطى، فى انتخابات يشارك فيها سكان الضفة والقطاع ومدينة القدس العربية، والتوقعات كلها تؤكد، أن أنصار عرفات المؤيدين لمشروع السلام سوف يفوزون رغم نقائص الاتفاق ورغم مصاعب الحياة، بأغلبية كبيرة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

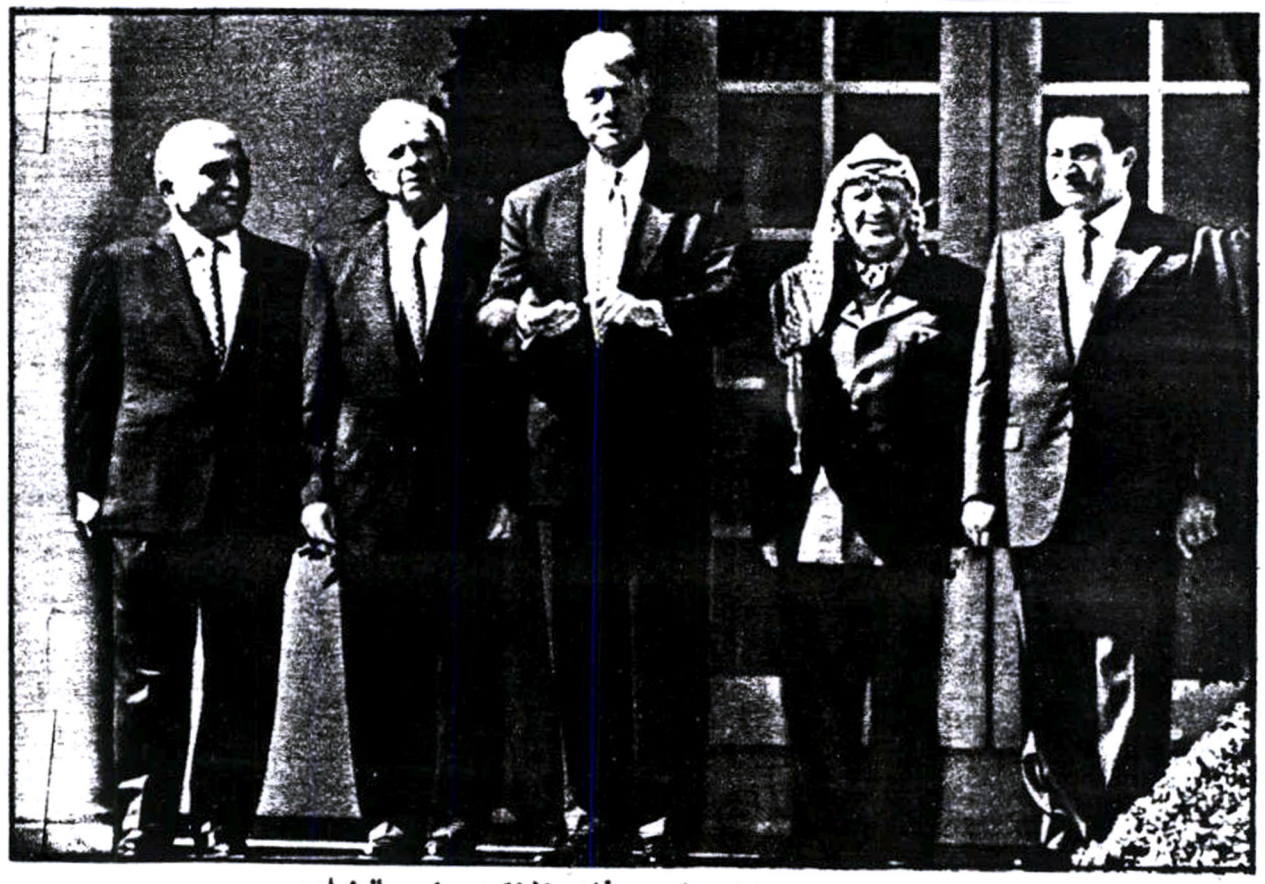

الرؤساء:حسنى مبارك وياسر عرفات وكلينتون ورئيس الوزراء رابين والملك حسين فى حديقة البيت الأبيض

تُفسح نسبة محدودة تصل إلى ٤٠ فى المائة لبعض قوى المعارضة الفلسطينية وبينهم جماعة حماس.

لكن الأخطر من ذلك كله، أن هذا الاتفاق قد أنهى إلى الأبد حلم إسرائيل الكبرى ووضع الإسرائيليين أمام الإجابة الصحيحة لهذا السؤال المهم عن مصير الضفة الغربية.

لقد ظل الإسرائيليون، على امتداد ٢٧ عاما، يقدمون إجابات متعددة لهذا السؤال، تتراوح ما بين خطط الليكود وأفكاره التى تنكر على الفلسطينيين وجودهم، وتعتبر الضفة جزءا من أرض إسرائيل الكبرى، وتطلق عليها اسم يهودا والسامرة إلى خطط حزب العمل التى تجسدت فى برنامج استيطانى واسع، أسفر عن بناء ١٤٠ مستوطنة، تتناثر حول المدن العربية وتحاصرها، يسكنها ١٤٠ ألف مستوطن من غلاة المتعصبين الذين يشكلون الآن قوة رفض خطيرة لأى تعايش إسرائيلى فلسطينى، ويهددون الاتفاق بدرجة لا تقل خطورة عن تهديدات حماس، خصوصا أن الاتفاق ينهى أطماعهم فى الاستيلاء على مساحات الأرض الخلاء إلى جوار المدن والقرى العربية.

❑❑❑

❑ ابن العم رابين ❑

والواضح أن عرفات ورابين يدركان جيدا، أن الاتفاق لن يرضى كل الفلسطينيين ولن يرضى كل الإسرائيليين، وسوف يكون له على الجانبين خصوم ومنتقدون، فهما يدركان فى الوقت نفسه، أن الخطر الأكبر يتمثل فى أعمال العنف اليائسة التى يمكن أن تتصاعد فى أعقاب الاتفاق سعيا إلى تعويقه وإفشاله، ولأن عرفات ورابين يدركان جيدا، أن مصيرهما المشترك قد أصبح رهنا باستمرار الاتفاق ونجاحه، تقاربت

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

فى اجتماعات واشنطن، لغة الخطاب الفلسطينى مع لغة الخطاب الإسرائيلى، بل لقد توحدت مفردات الخطابين وإصرارهما المشترك على دحر الإرهاب والعنف.

ألزم عرفات نفسه بالدفاع «بالروح والجسد» عن الاتفاق ضد خصومه وأعدائه، ووثق هذا الالتزام فى اجتماعه مع الرئيس كلينتون الذى استغرق نصف ساعة فى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض.

فى هذا الاجتماع، قال الرئيس كلينتون لعرفات : «إن وجوده فى المكتب البيضاوى يمثل خطوة ضخمة تعكس تطور الموقف الأمريكى تجاه عرفات وتجاه الشعب الفلسطينى، وأنه من الأهمية بمكان، أن يرتفع الموقف الفلسطينى إلى حدود الالتزام بمسئولياته دفاعا عن الاتفاق».

وكان رد عرفات : «أن التزامه بمقاومة الإرهاب ينبع من إحساسه، بأن أعمال العنف موجهة فى جانبها الأكبر ضد مصالح الشعب الفلسطينى، كما هى موجهة ضد الإسرائيليين، وأنه عازم على أن يبذل كل جهده من أجل إنجاح المصالحة التاريخية بين الشعبين الفلسطينى والإسرائيلى».

ثم كانت ذروة التفاهم بين رابين وعرفات فى حفل الاستقبال الذى أقامه الرئيس كلينتون فى متحف الفنون الجميلة احتفالا بتوقيع الاتفاق... فى هذا الحفل وجه عرفات فى بداية كلمته التحية إلى كل الحضور وبينهم «شريك السلام وابن العم، رئيس الوزراء رابين» وكان رد رابين : «إننى على وشك أن أعتقد أن الرئيس عرفات يكاد يصبح يهوديا». ووسط عاصفة من التصفيق والضحك بلغت المكاشفة ذروة أخرى، عندما تحدث رابين عن علاقته القديمة مع الملك حسين التى تعود إلى خمسة عشر عاما.

تمكن عرفات ورابين أخيرا من إقامة علاقات عمل تغلبت على مشاعر الكراهية المتبادلة بينهما والتى لم تستطع مصافحتهما التاريخية التى جرت فى سبتمبر عام ٩٢ عند توقيع اتفاق أوسلو فى البيت الأبيض – إخفاء بقاياها، وربما يكون هذا واحدا من أهم ضمانات نجاح اتفاق القاهرة، لأن الاثنين يعرفان جيدا، أن الأمور تجاوزت نقطة اللا عودة، وأن قدرهما المشترك يفرض عليهما أن يحاربا فى جبهة واحدة من أجل إكمال المسيرة

❑❑❑

❑ دمشق الغائب الحاضر ❑

بين خصوم الاتفاق يتفرد السوريون بموقف عملى قد لا يختلف كثيرا عن موقفهم السابق من اتفاق أوسلو، عندما أعلن الرئيس الأسد أنه يعارض الاتفاق، ولكنه لن يعمل ضده، ولن يسعى إلى تعويق تنفيذه... وبرغم الانتقادات الحادة التى وجهتها دمشق للاتفاق، إلا أنها حرصت على أن تستجيب لدعوة الرئيس الأمريكى، وترسل ممثلا دبلوماسيا على مستوى محدود، حضر توقيع الاتفاق ضمن عدد كبير من وزراء الخارجية العرب بينهم معظم وزراء دول الخليج، الذين جاءوا إلى حفل التوقيع شبه متخفين، لايرتدون ملابسهم الوطنية رغم حرصهم على ذلك فى كل مناسبة رسمية!

لماذا التخفى؟

لا أحد يعرف على وجه التحديد !

كان فى حضور الممثل السورى، رغم مستواه الدبلوماسى المحدود، إشارة كافية إلى أن دمشق لا تخاصم عملية السلام، ولا تريد أن تعزل نفسها عن جهودها، لكنه فى الوقت نفسه إشارة ذات مغزى، تعكس تبرم دمشق وضيقها من عدم إحراز أى تقدم عملى على مسار التفاوض السورى.

ربما يكون فى حسبة الإسرائيليين، أن تقدم جهود التسوية خطوة أخرى على مسار التفاوض الفلسطينى سوف يجعل السوريين أكثر إحساسا بالعزلة، ومن ثم يصبحون أكثر استعدادا لقبول شروط إسرائيل المتعلقة بترتيبات الأمن فى هضبة الجولان.

وربما يكون فى حسبة السوريين، أنه مهما راوغ الإسرائيليون، فإن السلام

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الشامل سيتحقق فى غيبة سوريا، ولعل الأفضل لدمشق أن تكون آخر الموقعين لأنه يمكنها من تحسين مركزها التفاوضى مع إسرائيل.

بسبب هذه المفارقة بين الموقفين، تعطلت جهود التسوية على مسار التفاوض السورى، رغم وضوح مبادىء التسوية وأسسها، منذ أن أعلنت دمشق قبولها سلاما كاملا مع إسرائيل، مقابل الانسحاب الكامل من كل الجولان.

كان واحدا من أول الأهداف التى من أجلها ذهب الرئيس مبارك إلى واشنطن كى يحث الإدارة الأمريكية على ضرورة بذل المزيد من الجهود من أجل تحريك الموقف على المسار السورى، لأن سلام الشرق الأوسط ينبغى أن يكون شاملا لأنه ليس فى صالح السلام أن يستشعر السوريون أن هناك محاولات تستهدف عزلهم أو إضعاف موقفهم.

إن الاجتماع الخماسى الذى حضره مبارك وحسين وعرفات ورابين مع الرئيس الأمريكى كلينتون فى البيت الأبيض صباح يوم توقيع الاتفاق، كانت دمشق هى الحاضر الغائب، لأن كل الأطراف كانت تؤكد على ضرورة التحرك على المسار السورى، ورغم المفارقة الراهنة بين الموقفين السورى والإسرائيلى كان الشعور السائد لدى جماعات واشنطن، أن الفرصة لاتزال واسعة لإمكان الوصول إلى اتفاق سلام سورى إسرائيلى قبل موعدى الانتخابات الإسرائيلية والأمريكية القادمتين.

وفى واشنطن ثمة توقعات مؤكدة، بأن يبدأ وزير الخارجية الأمريكى وارين كريستوفر جولة مكوكية جديدة بين دمشق وتل أبيب، فى أعقاب حضوره المؤتمر الاقتصادى الذى يعقد فى عمّان فى غضون شهر أكتوبر الحالى، بهدف تضييق مساحة الخلاف بين الموقفين السورى والإسرائيلى حول ترتيبات الأمن فى هضبة الجولان، حيث ترفض دمشق وجود محطة إنذار مبكر إسرائيلية فوق الأرض السورية، كما ترفض مطالب إسرائيل فى خفض القوات السورية، إلا أن يكون الخفض متبادلا على الجانبين.

هل ينجح كريستوفر فى مهمته القادمة؟

فى واشنطن هناك تأكيدات بأن كريستوفر سوف يبذل غاية جهده من أجل نجاح مهمته، لأن إنجاز إتفاق سلام سورى إسرائيلى سوف يضيف إلى نجاحات الإدارة الأمريكية نجاحا جديدا، يزيد من أسهم الرئيس الأمريكى فى الانتخابات القادمة، وربما يساعد رابين على كسب معركته لأن سلاما سوريا إسرائيليا سوف يعكس، دون شك، أصداء إيجابية واسعة فى الشارع الإسرائيلى.

❑❑❑

❑ كلينتون أول الرابحين ❑

البعض يريد أن يختزل ما حدث فى واشنطن على أنه مجرد مظاهرة، اختارت الإدارة الأمريكية مناسبتها بعناية، كى تخدم الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكى الذى يسعى إلى تجديد فترة رئاسته الثانية، فى معركة صعبة يخوضها ضد الجمهوريين الذين يسيطرون على أغلبية مقاعد الكونجرس الأمريكى.

لقد تحدثت الصحف الأمريكية عن الرئيس كلينتون باعتباره أول الرابحين من هذا الحدث الضخم الذى يجسد نجاح الإدارة الأمريكية فى تحقيق مكسب مهم على مستوى السياسة الخارجية، يضاف إلى نجاحها الآخر فى الوصول إلى اتفاق سلام حول قضية البوسنة، الأمر الذى يمكن أن يعوض إخفاق إدارة كلينتون فى تحقيق أى من الوعود الداخلية التى جاءت بالرئيس الأمريكى إلى البيت الأبيض.

وربما يكون الرئيس كلينتون أول الرابحين بالفعل، لكن اختزال ما حدث فى واشنطن على أنه مجرد مظاهرة تخدم

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكى يظلم وقائع الحدث الكبير، ويهدر آثاره المهمة التى ربما يكون أولها، هذا الاحساس الدولى المتزايد بضرورة دعم الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى الأخير، من خلال الوفاء بالوعود التى قطعها المجتمع الدولى على نفسه بمساعدة الفلسطينيين.

وعد المجتمع الدولى عرفات، إثر توقيع اتفاق أوسلو. قبل عامين، بدعم مالى ضخم ملياري و٤٠٠ مليون دولار، يمكنه من بناء مؤسسات كيان الحكم الفلسطينى، وتحسين أحوال المواطنين، ومجابهة مشكلات البطالة المتزايدة فى الشباب الفلسطينى، لكن ما وصل حتى الآن إلى الفلسطينيين من هذا الدعم الموعود لايزيد على ٦٧٠ مليون دولار، رغم نداءات عرفات واستغاثاته المتكررة.

هذه المرة يبدو أن المجتمع الدولى عازم بالفعل على مساندة عرفات الذى نجح فى أن يقدم نفسه فى صورة رجل الدولة المعتدل، الحريص على مقاومة الإرهاب، والذى يتطلع إلى قيام كيان فلسطينى ديموقراطى، يمكن أن يستوعب بقاء المستوطنين اليهود فى الضفة والقطاع، كمواطنين فلسطينيين لهم كل حقوق المواطنة، بما فى ذلك حق الانتخاب وحق الترشيح، كما استوعبت إسرائيل مايقرب من مليون مواطن فلسطينى وراء الخط الأخضر يحملون الجنسية الإسرائيلية ويسميهم الليكود عرب إسرائيل.

وفى اللقاء الذى تم بين عرفات وكلينتون فى البيت الأبيض أكد الرئيس الأمريكى عزمه على أن يحث الدول المانحة على الوفاء بالتزاماتها إزاء الشعب الفلسطينى، كى يتمكن عرفات من إعادة تأهيل البنية الأساسية للكيان الفلسطينى، وتحسين حياة الشعب، كما نصح عرفات بأن يحسن التعامل مع رجال الكونجرس الأمريكى كى تتمكن الإدارة الأمريكية من تقديم الدعم والمساعدة للشعب الفلسطينى الذى ينبغى أن يحس آثار السلام ويجنى ثماره.

❑❑❑

❑ مصر ومستقبل الشرق الأوسط ❑

بين النتائج المهمة لاجتماعات واشنطن أيضا، تأكيد كل الأطراف على ضرورة قيام علاقات تعاون وثيق بين شعوب الشرق الأوسط، كى يتجسد السلام فى مصالح متشابكة تربط دول المنطقة..، وفى هذا الإطار جرى البحث مرة أخرى فى ضرورة إنشاء بنك الشرق الأوسط لتمويل المشروعات المشتركة بين دول المنطقة، فى نطاق ميثاق واضح تؤكد بنوده، على ضرورة الحفاظ على توازن المصالح بين دول المنطقة وتحديد الضوابط التى تحول دون أن تكون المشروعات المشتركة الجديدة على حساب المصالح الراسخة لأى من دول المنطقة .

وثمة اقتراح تؤيده الولايات المتحدة بأن تكون القاهرة مقرا لهذا البنك الجديد الذى يصل رأسماله إلى حدود ٥ مليارات دولار، لكن ثمة أطرافا أخرى ترى أن يكون إلى جوار البنك آلية جديدة، تتجسد فى جهاز فنى، مقره عمان يتولى مهمة دراسة جدوى المشروعات المشتركة، التى يمكن أن تخدم شعوب المنطقة وإقرار حصص تمويلها قبل تقديمها إلى البنك، الأمر الذى يمكن أن يحيل البنك إلى مجرد خزانة، دون أن يكون له دور واضح فى دراسة المشروعات أو إقرارها، وبالطبع فإن هذه الاجتهادات المختلفة تعكس نوعا من تنافس المصالح فى غياب التنسيق المشترك، وفى غياب القواعد الواضحة التى تضمن توازن المنافع بين الفرقاء المختلفين.

وكما تختلف الاجتهادات حول سبل إقامة علاقات التعاون المشترك بين دول المنطقة، تختلف اجتهادات الفرقاء حول طبيعة العلاقات المستقبلية التى يمكن أن تربط بين دول المنطقة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الفلسطينيون يتحدثون عن دولة مستقلة آتية لاريب فى ذلك، على حد تعبير عرفات، والإسرائيليون يرون أن الدولة الفلسطينية لاتزال، على حد تعبير شيمون بيريز، حلما صعب المنال، لأنهم يريدون كونفدرالية تربط بين الأردن والكيان الفلسطينى، ورابين يرى الهدف النهائى فى إقامة كيان اقتصادى واحد يربط بين الأردن وفلسطين وإسرائيل ويرتبط بعلاقات تعاون وثيق مع مصر.

عبَّر كل الفرقاء عن اجتهاداتهم المختلفة على نحو علنى فى لقاءات واشنطن، لكن الجميع كانوا على اتفاق حول الأهمية المتزايدة لدور مصر فى مستقبل المنطقة، ابتداء من الرئيس كلينتون حتى رئيس الوزراء الإسرائيلى إسحاق رابين، مرورا بموقف الملك حسين الذى أكد فى اجتماعه مع الرئيس مبارك على أهمية التنسيق المشترك بين مصر والأردن فى كل خطوة قادمة.

كان الرئيس كلينتون أكثر الجميع تحديدا ووضوحا وهو يتحدث فى أكثر من مناسبة عن دور مصر المحورى فى مستقبل الشرق الأوسط، لأن مصر، على حد تعبيره، لعبت دورا مهما فى تقريب وجهات النظر بين الفلسطينيين والإسرائيليين حتى جاء اتفاق طابا، ولأنها تستطيع أن تقوم بدور حيوى من أجل دفع مسيرة التفاوض على المسار السورى الإسرائيلى كى يتحقق السلام الشامل، ولأن الرئيس مبارك كرَّس الدور المصرى لخدمة سلام المنطقة حرصا على مصالح شعوبها، وبدون دور مصر المهم ما كان يمكن لسلام الشرق أن يصبح حقيقة واقعة، وأظن أن الحكمة تقضى بأن تكون مصر أولى الدول التى تجنى ثمار هذا السلام، كذلك كان قرارنا بضرورة أن تكون القاهرة مقرا لبنك الشرق الأوسط ❑

مكرم محمد أحمد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية